

## مقدمة

كنت أجمع المراجع التي أعتمد عليها في رسالتي التي قدمتها إلى كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، لأحصل على درجة الماجستير في «نشأة الكتابة في الأدب العربي»، فوجدت الكتب التي تتعرض لنشأة التاريخ عند العرب، تستعير كثيرا من كتاب يسمى «المغازي الأولى ومؤلفوها»، من تأليف الأستاذ الألماني يوسف هوروفتس Josef Horovitz. فبحثت عنه، فوجدته مقالات في مجلة «الثقافة الإسلامية Islamic Culture» التي تصدر في حيدرآباد بالهند باللغة الإنجليزية، في أعداد عامي ١٩٢٧، ١٩٢٨، فعثرت فيه على تحفة رائعة في نشأة كتب المغازي والسيرة عند المسلمين وأطوارها الأولى.

اسم هذا الكتاب:

Early Biographies of the prophet and their Authors

وقد ترجمته باسم «المغازي الأولى ومؤلفوها»، وآثرت كلمة «المغازي» على كلمة «السيرة» مقتديا في ذلك بالمؤلف نفسه، أفهو الذي اختار هذا اللفظ، وكتبه بالحروف اللاتينية في أصله الأوربي<sup>(١)</sup>. ويجدر بي أن أشير إلى أن لفظ «المغازي» يعني: «الغزوات»، وهي الحروب التي اشترك فيها الرسول بالقتال. ولكن هذا الاسم تدرج في الزمن، فانتسح

(١) ص ٢ من هذا الكتاب.

معناه ، وشمل تاريخ حياة النبي جميعها . وأرجح أنه في توسعه الأول شمل حياة النبي في المدينة وحدها ، لأنها مدة الجهاد الحربي ، الذي سائر قيام الدولة الإسلامية . فهذه المدة من حياة الرسول مزدوجة بهذه الحملات على قريش ، والقبائل العربية ، واليهود ، ثم من سكن أطراف الشام ، وخضع للرومان من العرب . ولذلك لا يعد المرء كثيرا إذا سماها مدة المغازي . ثم اتسع اللفظ حتى شمل حياة النبي بأكملها ، فإنه إذا كانت المدة المدنية مدة الجهاد الحربي ، فإن المدة المكية كانت مدة الجهاد السلمى في سبيل نشر الدعوة سرا ثم جهرا . وعلى هذه الصورة اتسع هذا اللفظ ، فصار يعنى « سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » كلها ، وبهذا المعنى يستعمله مؤلف الكتاب .

ويعرض الكتاب دراسة فريدة لم يسبق إليها فيما أعلم ، فهو يتناول طائفة من المؤرخين المبكرين الذين وصفوا حياة الرسول وكتبوا فيها المؤلفات . فيذكر ترجمة وافية لهم ، مبينا سرا كرم الاجتماعية ، وأعمالهم الرسمية ، ويعنى بنشاطهم العلمية ، وكيف حصلوا على معارفهم ، وآرائهم العلمية . ثم يتناول ما ألفوا من كتب ، ويقف عندها طويلا ، ملخصا محتوياتها ، واصفا قيمتها الفنية ، وأخيرا يصف ما كتبوا في المغازي بالمعنى الخاص أو العام ، ومقدار ارتباطها بحياة النبي في مكة وفي المدينة ، أو ارتباطها بالحياة الإسلامية عامة .

وها هو ذا يقول مجملا منهجه<sup>(١)</sup> : « وسنتكلم فيما يلي عن هؤلاء

العلماء بالمغازي خاصة من التابعين ، وعن مدوناتهم . ولكننا لن نقف عند هذا الجانب وحده من نشاطهم ، بل نجمع كذلك كل الأخبار الهامة التي نقف عليها مضافة إليهم . وسنتناول في فصل آخر أو اثنين العلماء بالمغازي في الجيل التالي ، جيل تابعي التابعين . وأخيرا نتناول أقدم السير الشاملة لحياة النبي ، أعنى سير ابن إسحاق ومعاصريه ، وكذلك الواقدي وابن سعد .

فيترجم أبان بن عثمان ، وعروة بن الزبير ، وشرحبيل بن سعد ، ووهب بن منبه في الفصل الأول ؛ ثم عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والزهرى في الفصل الثاني ؛ ثم موسى بن عقبة ، ومعمربن راشد ، ومحمد بن إسحاق ، في الفصل الثالث ؛ وأخيرا أبا معشر السندي ، والواقدي ، وابن سعد ، في الفصل الأخير .

فهو إذن كتاب يؤرخ لمن كتب في المغازي ، ولا يقصد الحركة التاريخية عامة . ولذلك لا يترجم لمن كتب في تاريخ اليمن أو القصص العربية الشعبية ، من أمثال عبيد بن شريعة ؛ ولا لمن ألف في الأنساب والأيام ، من أمثال ابن الكلبي وأبي عبيدة ؛ ولا لمن ألف في تاريخ الخلافة والخلفاء وحدهم ، من أمثال عوانة بن الحكم وأبي مخنف ، ولا لمن ألف في الأدب والأدباء ، من أمثال حماد الراوية . وكذلك لا يتعرض لمن اكتفى بالرواية من المؤرخين ، ولو رووا السير والمغازي ، وإنما يوجه عنايته إلى من كتب منهم .

وقد شمل كتابه القرنين الأولين من الإسلام ، فكان آخر من كتب  
عندهم ابن سعد . وغنى عناية خاصة بعروة بن الزبير ، ووهب بن منبه ،  
والزهري ، ومحمد بن إسحاق ، والواقدي ، وخاصة الأخيرين ،  
فوقف عندهم وقعة طويلة ، بين فيها ترجمتهم الكاملة ، وفحص عن  
كتاباتهم فحفا دقيقا ، وناقش أسئلة العلماء ، والمناهج المختلفة التي  
اصطنعوها في مغازيهم وسيرهم . بل بلغ اهتمامه بابن إسحاق درجة جعلته  
يختصر رسالة جدّ عظيمة للأستاذ « فيك Fück » ، ويدخل زُبدتها  
في كتابه ؛ بعد أن حلاها ببعض الحواشي والتعليقات<sup>(١)</sup> . وفعلا وصل  
إلى القمة عند محمد بن إسحاق في الترجمة ، والتمحيص ، والمناقشة ،  
والابتكار ، وخرج علينا بتقسيم جديد لكتابه في المغازي<sup>(٢)</sup> . ونحن -  
وإن لم نستطع موافقة المؤلف في جزئيات هذا التقسيم ، نعجب ولا شك ،  
بالجهد الرائع الذي بذله لإظهار هذه الترجمة التي لانظير لها . ويمكننا  
أن نطلق هذا القول بدون مغالاة على ترجمته للواقدي أيضا . أما بقية  
التراجم ، فهي وإن كانت مختصرة ، إلا أنها حاوية ، لاتهمل شيئا مهمّا  
يفير لنا الطريق لتتصور هؤلاء العلماء بالمغازي وكتبهم .

وكانت مادة المؤلف في تصور كتب هؤلاء العلماء ، الفتف والمقتطفات  
الباقية في الكتب التاريخية التي أخذت عنهم ؛ فجمع هذه النصوص  
ورتبها ، وحاول أن يخرج منها بصورة واضحة عن كل كتاب . ومن

الواضح منذ النظرة الأولى في كتابه ، أنه بذل جهدا مشكورا ليصل إلى ما وصل إليه من معلومات قيمة ومبتكرة في غالب الأحيان . ولعلنا نستطيع أن نقف أثره ، ونخرج سلسلة من الأبحاث في نشأة الفروع الأخرى من الأدب والعلم عند العرب ، مستعينين بالأسانيد التي كان يواظب عليها القدامى من المؤلفين في أكثر الأحيان . فإن هذه الدراسة تؤدي بنا إلى كثير من النتائج العلمية الدقيقة .

وصفوة القول في هذا الكتاب : أنه أول دراسة من نوعها تداع في الشرق العربي ، تهدينا إلى المجد الرفيع الذي بلغه أجدادنا في قديم زمانهم ؛ وإلى المناهج العلمية الدقيقة التي كانوا يصطنعونها ويحافظون عليها ، وإلى الحياد وحب الحق ، مما التزموه في دراساتهم العلمية ، حتى تعرضوا للمخاطر ، ولظلم من ظلم .

ومن الطبيعي ألا يبرأ الكتاب من بعض وجوه النقد ، التي يسببها له المنهج الذي اختاره المؤلف ، فهو حين يتبع مقتطفات التواريخ من هذه الكتب لا يميز بين الروايات والمدونات ، بل يتغاضى أحيانا عن الروايات ، ويرجح تدوينها<sup>(١)</sup> ، وبهذا قد يدخل في تصورنا المغايز الأصلية معومات ربما لم تكن فيها .

ويشتط المؤلف أحيانا نادرة في بعض الآراء ، فيطلقها إطلاقا دون أن يتروى فيها . وقد تعقبته في هذه المواضع ، وعاقته على آرائه ، وبينت آراء

غيره من العلماء ، ليستخلص القارى\* الرأى الصحيح ، أو يختار الرأى الذى يرتضيه . وقد أشرت إلى هذه الحواشى التى من عندى بالحرف الأول من اسمى « ح » لأميزها عن حواشى المؤلف . وعلى ذكر هذه الحواشى أشير إلى أنى قاسيت منها أشد المتاعب لأصل إلى مصادرها ، بسبب اختلاف الطبعات ، والأخطاء المطبعية التى وقعت فى الأرقام .

ومن الأمور التى شَطَّ فيها قلم المؤلف نسبتته التأليف فى المغازى لشرحبيل بن سعد ، وعبد الله بن أبى بكر ، فالخبر الذى رواه ابن حجر يدل على أن موسى بن عقبة هو الكاتب ، حتى إنه ليقول : « وقيد من شهد بدرا وأحدا ، ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة ، وكتب ذلك » . فكلمتا : « قيد ، وكتب » تنصان على أن موسى فعل ذلك مقابلة لرواية شرحبيل ، وإثباتا لوجه الصواب على مدونة لا يستطاع تغييرها<sup>(١)</sup> . وكذلك عبد الله بن أبى بكر لانستطيع أن نثبت له كتابا فى المغازى ، لمجرد أن ابن أخيه عبد الملك بن محمد ألف فيها<sup>(٢)</sup> .

وأفادت من المؤلف بعض الكتب لم يقنبه له مثل « كتاب مشاهد النبى » الذى ينسبه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » للزهري<sup>(٣)</sup> . ولم يقنبه لسليمان ابن طرخان المتوفى عام ١٤٣ هـ وألف كتابا يسمى : « السيرة الصحيحة »

وقد وجدته الأستاذ « فون كريمر Von Kremer » في نهاية مغازى  
الواقدي ، فحققهما معا ونشرهما في الهند .

ويؤخذ على المؤلف قلة الاستشهاد ، بل عدمه تقريبا . وقد استدركت  
هذا النقص بالضمائم التي جمعها في آخر الكتاب ، إذ أتيت لكل  
مؤرخ مذكور بشيء من مقتطفاته المحفوظة في الكتب المتأخرة ، التي  
رجع إليها المؤلف .

ومهما يكن من شيء فإن الكتاب تحفة رائعة أُقدمها لإخواني القراء  
في العالم العربي ، شاكرا مؤلفها جزيل الشكر ، راجيا أن تفتح أمامنا  
آفاقا جديدة للبحث في مواطن الدراسة العربية ، وفقنا الله جميعا ،  
وهدانا الصراط المستقيم .

عسبى نصار

القاهرة في يوم الاثنين } ٢٤ من صفر سنة ١٣٦٩ هـ  
١٤ من ديسمبر سنة ١٩٤٩ م



## شكر

وإني مدين بجزيل الشكر لأستاذي الجليل « مصطفى السقا »  
الأستاذ المساعد بكلية الآداب ، الذي أوّلَى هذا الكتاب كثيرا من  
عنايته ، في تقويم ترجمته العربية ، وتصحيح تجاربه المطبعية ، ثم في  
إذاعته ونشره .

كما أرى لزاما عليّ أن أقدم موفور الشكر لحضرات الناشرين  
للكتاب : أصحاب مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الذين  
رحبوا به ، وأعانوني على إذاعته في هذه الصورة . ولا أنسى إدارة المطبعة  
وعمالها الذين بذلوا جهودا مشكورة في أعمالهم الفنية ما

